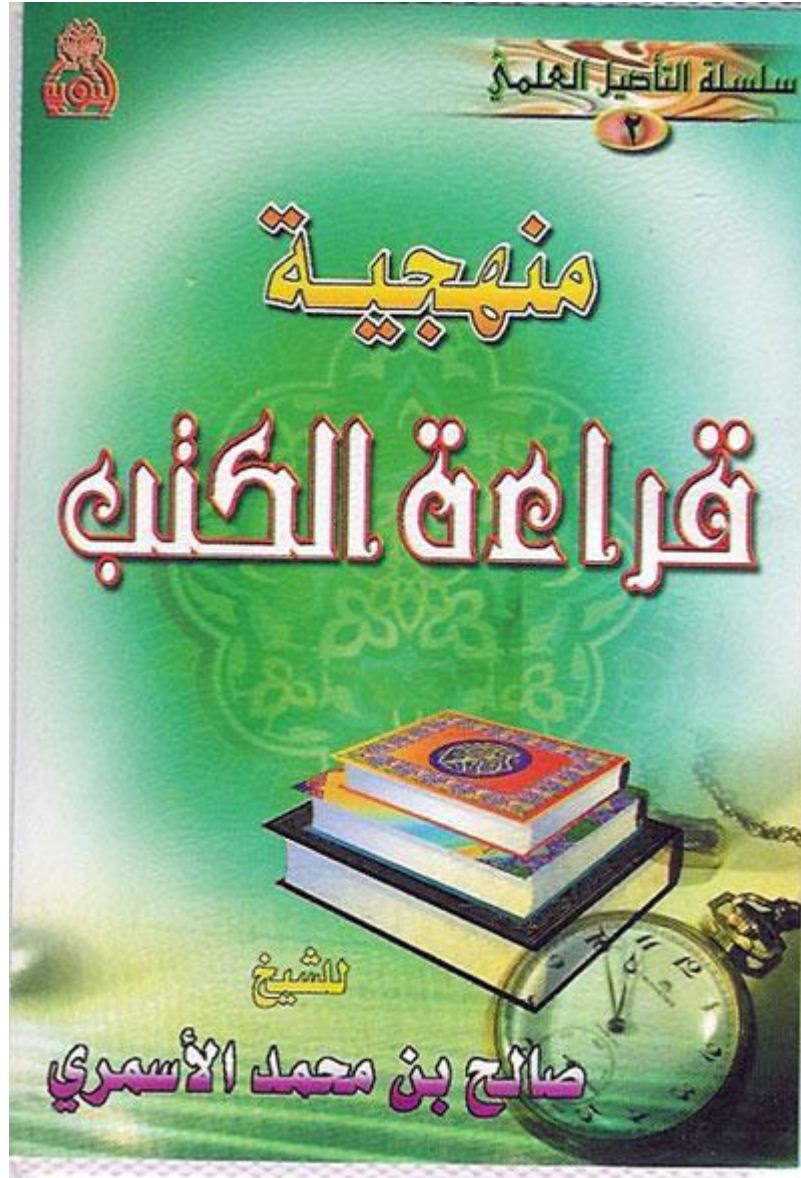




الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين سيدنا ونبينا محمد ،

وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن الكتب هي ثاني طرق التعلم ، ولذا فقد عني بها العلماء قديماً وحديثاً ، ونظراً لتخبط بعض في طرق الاستفادة منها ؛ كان لا بد من بيان أهميتها ، وكيفية الاستفادة منها ، ومعرفة قواعد مهمة لفهم كلام أصحابها .

وسداً لهذه الحاجة ، فقد ألقى فضيلة الشيخ الفقيه صالح بن محمد الأسمرى - حفظه الله - محاضرتين

في ذلك :

الأولى : بعنوان (قراءة الكتب لماذا؟ وكيف؟) .

الثانية : بعنوان (قواعد فهم كتب العلماء) .

وقد جمعنا في (ألبوم) بعنوان : (منهجية قراءة الكتب) .

ولأهمية تلکم المحاضرتين أحببنا تلخیصها وتهذیبها في هذه الصفحة المباركة.

قراءة الكتب لماذا؟ وكيف؟

قراءة ∃ الكتب لماذا ؟ :

- لا شك أن قراءة الكتب تعود على المتعلم بفائدة عظيمة .

وقد دل على ذلك دلائل كثيرات ، منها ما يعود إلى الشرع ، ومنها ما يعود إلى النظر.

قراءة ∃ الكتب كيف؟.

هناك أمور ثلاثة : ∃

1- أصول موصولة .

2- متممات مكملة .

3- وصايا موجهة .

أولاً : أصول موصلة

قراءة أي كتاب يقوم على ركائز ثلاث لابد منها :

الركيزة الأولى : أن يكون القارئ على معرفة بلغة الكتاب .

الركيزة الثانية : أن يحدد القارئ هدفه من قراءة الكتاب .

والأهداف التي يتوخاها الإنسان عند قراءته لكتاب ما على أنواع غير محصورة فمنها : قراءة تسلية

، قراءة فهم وتدبر لمعرفة مقصود الكتاب ...

الركيزة الثالثة : المعرفة بالطريقة التي تتناسب مع الهدف .

وتختلف الطرائق باختلاف الأهداف ، فمن أراد أن يختصر كتاباً - مثلاً - فله طريقة معينة ، وهكذا على حسب اختلاف الأهداف .

ثانياً : متممات مكمل

هي محصلة ركائز ثلاث :

الركيزة الأولى : التدرج في القراءة وخطواتها .

فلا بد في البداية بالقراءة في الكتب الواضحة قبل الغامضة المشككة .

وها هنا أمران مهمان عند ذكر التدرج :

- الأول : أهمية حفظ أصول العلم ، فإن به يحصل ضبط المسائل والفصول .

- الثاني : أنه من الآفات أن يكون الإنسان صاحب تنانيف من العلوم ، فينظر في علوم كثيرة ، ولا يبلغ الإمامة في شيء منها .

الركيزة الثانية : القراءة الصحية .

يذكرها أهل الصحة والتطبيب ، ومرجعها إلى مراعاة ثلاثة أشياء :

أولها : هيئة القراءة : وينبغي أن يجتمع فيها شرطان :

(1) أن تكون مريحة للعين الباصرة . (2) أن تكون مريحة البدن .

ثانيها : مراعاة الوقت : بأن يكون زمن القراءة فيه أريحية نفس وراحة تامة .

ثالثها : المكان : بأن يكون خالياً من الضجيج والأصوات المزعجة ، أو الصور التي تأخذ النفس وتأسرها .

الركيزة الثالثة : أن يتعرف المرء على جهات الخلل في أي كتاب يقرؤه .

فإن هناك جهات ثمان ، لا يمكن أن يأتي الخلل إلى المكتوب إلا عن طريق واحد منها ، حصرها

وعدها عدداً الإمام الماوردي - يرحمه الله - كما في " أدب الدنيا والدين " ، وخلصتها:

1- إسقاط ألفاظ من الكلام .

2- زيادة ألفاظ أثناء الكلام يُشكل بها معرفة الصحيح غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلاً .

3- إسقاط حروف من أثناء الكلمة الواحدة والكلمة نوعان :

- كلمة إذا سقط منها حرف بان عند تلاوتها لتردها أو شهرتها .

- كلمة أخرى إذا سقط منها حرف انقلبت إلى كلمة أخرى تتلى على معنى آخر .

4- زيادة حروف في أثناء الكلمة .

5- وصل الحروف الموصولة ، وفصل الحروف الموصولة .

6- تغيير الحروف عن أشكالها ، وإبدالها بأغيارها .

7- ضعف الخط عن تقويم الحروف على أشكالها الصحيحة ، حتى تصير العين الموصولة كالفاء - مثلاً - .

8- إغفال النقط والأشكال التي تتميز به الحروف المشبهة ، وذلك أن الأوائل لم يكونوا ذوي عناية بتنقيط ما كان معجماً من الحروف .

ثالثاً : وصايا موجهة

الوصية الأولى : لابد لطالب العلم أن يكون مكتبة في منزله ومقر وجوده ؛ لأنها آلة التحصيل .

الوصية الثانية : ألا يقدم على شراء كتاب إلى بعد الاختيار ، بأن يكون معتمداً عند أهل فنه .

والاختيار يختلف باختلاف الناس ، فمنهم العالم القادر على تقويم الكتب ، ومنهم من ليس كذلك ، فهؤلاء يأخذون مبدأ الاستشارة في شراء الكتب .

والاستشارة لها شرط وهو أن توقف المستشار على مبتغاك مع كونك تختار المستشار ، ولها أدب

وهو أن تتأدب مع من تستشيرهم ، فلا تخالفه بعد الاستشارة لهوى نفس لا شيء آخر .

ومن الكتب التي تعين في معرفة أفضل كتب الفن ، ما يسمى

بـ (الكتب الوصفية) وهي التي تعنى بتوصيف كتب فنّ معين ، تستقرئ قديمها وحديثها ، ثم تقومه

في ميزان النقل والتقويم الحق ، فمثلاً في النحو تجد - مثلاً - كتاب " نشأة النحو " لطنطاوي .

الوصية الثالثة : ينبغي عند شراء الكتب أن تراعي أمور ثلاثة :

1- أن يعلم أن تكوين مكتبة لطالب علم لا تأتي في عشية وضحاها في حال جملة الناس ، وهناك

صنف من الناس قد كساه الله بالثراء فله أن يفعل مكتبة في عشية وضحاها .

2- إذا أراد أن يشتري كتاباً عاجلاً فليقدم نوعين من الكتب :

- الكتب الأصلية في فنّها .

- ما يحتاجه من كتب في دراسة أو حلقة علم أو نحو ذلك .

3- عند شراء المرء الكتاب لابد أن تراعى دور النشر التي ثمنها زهيد حتى يضع بقية النقود في

كتب أخرى ، وأن يتفقد الكتاب الذي اشتراه وخلوه من العيوب الطباعية ، ثم يتأكد من هو الكتاب

المطلوب لا غيره.

الوصية الرابعة : تتعلق بإعارة الكتب .

فينبغي ألا يكون الإنسان بخيل النفس ، فيحبس الكتب عمّن يستعيرها منه ، وهو يريد أن يأخذها

لمعرفة وهو مستحق لذلك العطاء وهو واثق به ، وهو أدب رفيع قلّ من تخلّق به .

إلا أن هناك شروطاً ثلاثة عند الإعارة :

1- أن يكون المستعير مستفيداً من الكتاب الذي طلبه ، ولا يكون متفكهاً بالطلب .

2- أن تكون على ثقة من إرجاع الكتاب إليك من قبل المستعير منك .

3- أن تُعلم كتابك بعلامة من العلامات حتى لا يذهب عنك ، كإثبات ملكيتك له ، أو وضع ختم لك

ونحو ذلك .

وللاستعارة آداب حاصلها أربعة:

1. أن تصون الكتاب إن استعرتته من غيرك .

2. الشكر لمن أعارك كتاباً .

3. ألا يطيل المرء بقاء كتاب عنه وقتاً طويلاً .

4. ألا يتصرف بالكتاب الذي استعاره بعد استئذان صاحبه .

آخر الوصايا : تتعلق بآداب متفرقات مع الكتب :

أولاً : صون الكتاب وحفظه من المعاييب والمثالب.

ثانياً : مراعاة المكان الذي يوضع فيه الكتاب ونظافته ونزاهته.

ثالثاً : تتعلق بترتيب الكتب وفهرستها عند تكوين خزانة كتبية في بيت أو نحوه ، فينبغي أن يرتبها

المرء على حسب مقدار علومها .

رابعاً : كتابة الحواشي والتعليقات وفق آدابها المعتبرة، ومن ذلك :

- أن يكتب التصحيحات لخطأ مطبعي أو نحوه ، على هامش الكتاب على جانبه ويضع بعدها (صح

(كما هو هدي المحدثين .

- إذا قرأ كتاباً ثم أراد أن يقف ويرجع إليه من وقت لآخر فيكتب عند المكان الذي وقف عنده (بلغ)

كما هو هدي المحدثين .

- إذا أراد أن يكتب فائدة على كلام مرّ عليه ، أو جملة قرأها في كتاب ، فيكتبها بادئاً بجهتها اليمنى ،

بادئاً من الحاشية ، ثم يعلي الكتابة نحو أعلى الصفحة حتى إذا أراد أن يكتب شيئاً بعد ذلك السطر

وجد له متسعاً وهي من الطرائق المستحسنة التي يفعلها المحدثون وغيرهم .

- وأن تكون بخط واضح .

قواعد لفهم كتب العلماء

لا شك أن ∃ تصحيح مسار الفهم ، وتصويب سبيل المعرفة أمر مهم جداً ، ولذا كان حسن الفهم من أعظم النعم .

وجميع مايراد تفهمه يحصل بطريقتين :

الأولى : بيان المتكلم عن مراده ومفهومه .

والثانية : تمكن السامع من تفهُم الشيء .

إلا أن الفهم له آفته كما أن للكتب آفاتها ، فلا بد من قواعد تضبط ذلك ، وهي كالتالي:

القاعدة الأولى : البنية المعرفية للقارئ لكتابٍ علمي تأصيلي لها أثرها الواضح في حسن الفهم

لمصطلحات وأبواب ومسائل الكتاب.

ذلك أن مطالعة كتب المصنفين ومدوني الدواوين نافع في بابه بشروط ، منها : فهم مقاصد ذلك العلم

المطلوب ومعرفة اصطلاحات أهله ، وذلك يحصل أخذ العلم مشافهة عن العلماء أو مما هو راجع

إلى ذلك ، والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً دون فتح العلماء وهو مشاهد معتاد .

القاعدة الثانية : الرجوع إلى المعروف من حال المصنف ومذهبه وحاله عن وجود عبارات مشتبهة

في كلامه .

القاعدة لثالثة : مراعاة أحوال المؤلف وأطواره - إن مر بأطوار - في منهجه الاعتقادي أو الفقهي أو

نحو ذلك .

القاعدة الرابعة : مراعاة التراجعات العلمية . إذ إن الرجوع إلى الحق فضيلة ، وكان أسلافنا الأخيار

يرجعون إلى الحق إذا بان لهم ، فعندما يصطحب الناظر في الكتب لهذه الحقيقة يعلم يقيناً أن

المصنف لكتاب ، قد يرجع عن قول قرره في الكتاب نفسه أو في بعض نسخه المتأخرة أو في أي

كتاب آخر ، ولذا فلا ينبغي التسرع في نقل قول عالم من كتاب إلا إذا علم أنه أقره ولم يتراجع عنه .

القاعدة الخامسة : حمل المُجمل من كلام المؤلف على المُفسَّر في الكتاب نفسه أو في كتابٍ آخر له .

القاعدة السادسة : تفهم الكلام حسب الدلائل المعتبرة في فهم كلام المؤلفين.

إذ إن الدلائل نوعان: دلائل معنوية ، ودلائل لفظية ، والدلائل اللفظية ثلاث : دلالة موافقة ، ودلالة لزوم ، ودلالة تضمن .

وإنما يفهم من خلال دلالة المطابقة والتضمن ، أما دلالة اللزوم فلا يُعمل بها على إطلاق إلا في مجالين :

الأول : أن يلزمه صاحبه إذا ذكر له اللازم .

والثاني : أن يدل عليه ما جرى مجرى لفظه من تنبيه أو إيماء أو نحوهما من الدلالات اللفظية .

القاعدة السابعة : مراعاة موارد الكلام للناظر في الكتب ، فقد يكون مورد الكلام وعظاً أو محاجة لخصم ، أو مناظرة لمخالف أو نحو ذلك ، فإنه قد يتنزل الإنسان في المناظرات ما لا يتنزه في باب التقرير ، وهكذا .

فوائد تتعلق بمطالعة الكتب

الفائدة الأولى : أن تكون القراءة للكتاب بنية عدم الرجوع إليه مرة أخرى ، وفي ذلك يبادر إلى استنفار قواه العقلية .

الفائدة الثانية : مراعاة الزمن عند قراءة الكتب ، فإن العمر قصير والعلم كثير ، فينبغي على الإنسان أن يعود نفسه على سرعة القراءة مع تفهم .

الفائدة الثالثة : تحديد الغاية من قراءة الكتاب من اختصار أو تلخيص أو جرد لاستخراج أشياء معينة ، وبحسب تحديد الغاية تكون الطريقة المناسبة للقراءة .

الفائدة الرابعة : الانتقاء والاختيار ، فإن الكتب كثيرة ، بل هي في كل فنّ كتب كثيرة .

خاتمة

ورغم أهمية الكتب وعظم نفعها ، فإن الاعتماد عليها وحدها دون شيخٍ غير نافع ، ولذلك يقول

الشافعي - يرحمه الله - : (لا تأخذ العلم عن صحفي ، ولا القرآن عن مصحفي) .

ويقول ابن خلدون - يرحمه الله - في : "مقدمته" بعد ذكره قواعد عظمى في أخذ العلوم : (إلا أن

التلقي بالمباشرة والأخذ عن العلماء ، هو الذي يورث تمام الملكات) .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبيينا محمد وعلى آله وصحبه .